

## الخيال السوسيوولوجي في بناء الإشكالية

\*الباحث أوزقزو عبد القادر

كلية العلوم الاجتماعية، قسم علم الاجتماع

جامعة وهران 2 محمد بن احمد

### الملخص:

الإشكالية هي المرحلة الثالثة من مراحل البحث السوسيوولوجي والتي تلي مرحلة الاستكشاف، بحيث تعتبر أهم مرحلة وهي تأسيس نص نظري وطرح فكري ما تم قراءته يتم انتاجه من طرف الباحث، وهي التي تعكس عن قوة وذكاء الباحث وجودة البحث. كما تتوقف عملية بناء هذه الإشكالية على عدة طرق ومن أهمها هي اعتماد الباحث على طريقة الخيال السوسيوولوجي التي ابتكرها العالم الأمريكي والإمريقي رايت ميلز؛ وتعتبر هذه الطريقة مستوى معرفي جد متقدم من التحليل السوسيوولوجي للشئانية (المجتمع والفرد) فهي الطريقة المثلى لفهم حياة الفرد من جهة وتطور المجتمع من جهة أخرى ولا يمكن فهم أحد منهما دون الآخر. فهذه العلاقة نجدها دائما عندما نقوم بتحليل سوسيوولوجي موضوعي بحيث تسمح هذه الطريقة بالإبداع في فهم السلوك الاجتماعي. ومنه نطرح السؤال التالي : ماهي هذه الطريقة؟ وكيف نميها؟ وما دورها في بناء الإشكالية؟.

الكلمات المفتاحية: الإشكالية، البحث السوسيوولوجي، الخيال السوسيوولوجي، رايت ميلز.

---

\*طالب وباحث دكتوراه ل م د، abdelkader.ouzougrou@gmail.com ، مشروع علم الاجتماع الاجرام،  
قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الاجتماعية، مخبر الأنساق، البنيات، النماذج والممارسات LSSMP ،  
جامعة وهران 2 محمد بن احمد

## مقدمة:

لقد عرف الانسان واكتسب العديد من المعارف حول ما يحيط به، إذ درسها ووضع لها قوانين وقواعد ضبطها في مختلف العصور إلى أن تطورت المناهج البحثية وأصبح يكون معارف علمية قائمة على أسس سليمة؛ ومن بين هذه المعارف نجد البحث السوسولوجي الذي يعد أهم البحوث في العلوم الاجتماعية. ومن بين خطوات هذا البحث نجد الإشكالية وهي تمثل أهم خطوة ومرحلة بحثية التي تعكس جودة البحث وأهميته العلمية وأثره على الواقع الاجتماعي؛ وبذلك طبعاً أن هذه الإشكالية يعتمد الباحث في بنائها على العديد من الأساليب والطرق التي جاء بها مختلف الأخصائيين في العلوم المنهجية، وبشكل أساسي يعتمد الباحث السوسولوجي على أهم طريقة في دراسة حقله الميداني أو الواقع الاجتماعي أو الكشف عن الظروف المحيطة بالظاهرة المراد دراستها وذلك بتجنب الذاتية ومحاولة دراسة ظاهرة دراسة أكثر موضوعية؛ والخيال السوسولوجي هي أكثر طريقة وأدق أسلوب لتحقيق هذا الأخير.

لذلك جاء هذا المقال يطرح هذه الخطوة (الإشكالية) والتي تعتبر محطة منهجية يتوقف عندها الباحث وذلك موضحة مختلف العلاقات التفسيرية والنقدية باعتمادها أساساً على أسلوب الخيال السوسولوجي وهو أسلوب معرفي جد متقدم للتحليل السوسولوجي كما تعود هذه الطريقة لابتكارها للعالم الاجتماعي الراديكالي رايت ميلز كما قد تبعه العالم أنتوني غيدنز وذلك بتناولها بطريقة مختلفة عن الأول. إذ سنوضح هذه الطريقة ونبين أهميتها في صياغة أو بناء الإشكالية بشكل التي تجعل من البحث السوسولوجي أكثر فعالية وواقعية وموضوعية.

## تحديد المفاهيم:

### البحث السوسولوجي:

البحث هو عبارة عن "نشاط انساني يأخذ صورة التقصي أو الفحص الدقيق بهدف التوصل إلى حقائق أو قواعد عامة مثل الفروض، أو إلى تحقيق غايات أو أهداف (مثل حل المشكلات) وهو نشاط قد يتم عن وعي وقصد، مثل التجارب العلمية أو عن غير وعي

وقصد مثل (الملاحظات العابرة التي يجربها الباحثون وتؤدي إلى اكتشاف علمي.<sup>1</sup> وهو كذلك عبارة عن "جملة العمليات الاستفهامية، الافتراضية، التوقعية، الاستقصائية، التبويبية، التحليلية والتأويلية التي يكون موضوعها معطيات ملموسة ذات علاقة بإشكالية علمية محددة بحيث يتيسر تقديم إجابة تفسيرية تأويلية ما على أسئلة الإشكالية كلها، أو بعضها."<sup>2</sup>

وهو: "الطريقة العلمية المنظمة التي تستخدم الدراسة الواقع الاجتماعي بغية التوصل إلى حقائق جديدة يمكن استخدامها والاستفادة منها علميا وعمليا، وهو أيضا مناج لاكتشاف المعارف الاجتماعية الجديدة التي يمكن توصيلها والتحقق من صدقها مستقبلا."<sup>3</sup>

وهو كذلك "مجموع العمليات المتميزة والمتابعة والمتداخلة التي يقوم بها دارس أو أكثر في علم من العلوم بهدف جمع معلومات بشكل نظامي تنير ظاهرة ما قابلة للملاحظة بهدف شرحها وفهمها إنه محاولة لاكتشاف المعرفة، والتنقيب عنها، وتنميتها، وفحصها، وتحقيقها بتقص دقيق، ونقد عميق، ثم عرضها عرضا مكتملا بذكاء وإدراك لكي تضاف إلى الانتاج الحضاري الانساني."<sup>4</sup>

تعتبر النظريات والملاحظات أحد العناصر والأركان الأساسية للبحث السوسولوجي بحيث على مستويين وهما: المستوى النظري (theoretical level) والمستوى التجريبي

---

<sup>1</sup> علي عبد الرزاق جليبي، المناهج الكمية والكيفية في علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، د ط، د س، ص 15

<sup>2</sup> سيرج بوغام، ممارسة علم الاجتماع، تر: منير السعيداني، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط 1، 2012، ص 237

<sup>3</sup> غريب عبد السميع غريب، علم الاجتماع مفهومات-موضوعات-دراسات، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، د ط، 2009، ص 129.

<sup>4</sup> عبد الغني عماد، البحث الاجتماعي "منهجيته مراحلته تقنياته"، منشورات جزوس برس، لبنان، ط 1، 2002، ص ص 15 . 16

(empirical level)؛ فالمستوى النظري يهتم بتطوير مفاهيم مجردة حول الظاهرة الاجتماعية وفهم وتفسير تلك العلاقات التي تربط هذه المفاهيم، أما المستوى التجريبي يقوم باختبار المفاهيم النظرية والعلاقات لرؤية كيف تتوافق وتتطابق ملاحظتنا للواقع وهنا تدخل تلك المقاربة النظرية.<sup>5</sup>

### الإشكالية:

هي " وضع البدهة والعفوية والاعتيادية والانسيابية التي يبدو عليها حال العالم الاجتماعي موضع تشكيك واستفهام. وتتم الأشكالية بتفريغ السؤال الأصل إلى أسئلة ذات علاقة بحيث يدقق الاستفهام عن الفاعل وعن الفعل وعن سياقه الزماني واطاره المكاني وعن طريقة ممارسته أو نمطه وعن دوافعه وغاياته. وعادة ما يتم تلخيص ذلك على الصيغة التالية: من يفعل، ماذا، أين، متى، كيف وتحت أثر أي دافع ومن أجل أية غاية؟"<sup>6</sup>

وهي أن يطرح الباحث "أسئلة تتعلق بالكلمات المحورية والعبارات والمفاهيم الأساسية التي تحظر على الذهن عند التفكير في الموضوع قيد البحث... وتبدأ تنشيط لدى الباحث العمليات الإبداعية... بعد أن يكون قد وضع قوائم بمثل تلك الكلمات والعبارات والمفاهيم، وأجرى عليها التغييرات والتعديلات اللازمة. ومن الممكن أن يقودنا وضع الأفكار والمصطلحات بعضها بجوار بعض كيفما اتفق إلى خطوط مفيدة من التصدي أو البحث، بل حتى يقودنا إلى تفسيرات محتملة وخطوط تفسيرية مستقلة تمام الاستقلال عن نتائج البحوث السابقة أو البيانات الجديدة، أو النظريات القائمة (الراسخة) المرتبطة بالمجال موضوع البحث. أن الانخراط في ممارسة مثل هذه التجربة الخيالية التي تتضمن تنمية

---

<sup>5</sup> أنول باتشيرجي، بحوث العلوم الاجتماعية "المبادئ والمناهج والممارسات"، تر: خالد بن

ناصر آل حيان، دار اليازوري للنشر والتوزيع، عمان، ط 2، 2015، ص 19

<sup>6</sup> سيرج بوغام، ممارسة علم الاجتماع، تر: منير السعيداني، مركز دراسات الوحدة العربية،

بيروت، ط 1، 2012، ص 237

وإعادة ترتيب الأفكار والمفاهيم من شأنه أن يقي الباحث من أن يغرق نفسه تماما في الحكمة الراهنة في مجال أو موضوع بحث.<sup>7</sup>

يتم تحديد الاشكالية بالصورة والشكل الواضح والدقيق وذلك استدلالا على نوعية العلاقات بين مسببات وعوامل الظاهرة المدروسة، وبشكل عام الاشكالية هي عبارة عن طرح فكري يتم بنائه من طرف الباحث وذلك بغية للإجابة عن الأسئلة التي تدور حول المشكلة أو الظاهرة الاجتماعية؛ وهي تعد المحور الرئيسي لبناء إطار نظري متماسك وقوي وتمثل مرحلة انتقالية إلى مرحلة أخرى من البحث السوسولوجي.<sup>8</sup>

أولا/ رايت ميلز MILLS C. Wright:

#### 1-تعريف رايت ميلز

رايت ميلز هو من مواليد شهر أوت سنة 1916م بمدينة واكو (Wako) في تكساس بالولايات المتحدة الأمريكية، ويعتبر من أهم علماء الاجتماع بأمريكا حيث ارتبطت جهوده بدراسة الماركسية والفيبرية وبمختلف القضايا ذات صلة بالطبقة المثقفة وبدورهم نحو الحياة الثقافية الحديثة.<sup>9</sup> وهو مفكر وعالم اجتماعي راديكالي ينحدر من أبوين ينتمين للطبقة المتوسطة من ذوي أصول إنجليزية إيرلندية وينتمي للاتجاه الإميريقي.<sup>10</sup>

---

<sup>7</sup> ديرك لايدر، قضايا التنظير في البحث الاجتماعي، تر: عدلي السمري، المجلس الأعلى

للتقافة، مصر، د ط، 2000، ص 88

<sup>8</sup> محمد عبيدات، محمد أبو نصار، وعقلة مبيضين، منهجية البحث العلمي "القواعد والمراحل

والتطبيقات"، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، ط 2، 1999، ص 25

<sup>9</sup> محمود أبو زيد، أعلام الفكر الاجتماعي والأنثروبولوجي الغربي المعاصر، الجزء الثاني

(2)، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 2007، ص 149.

<sup>10</sup> جون سكوت، خمسون عالما اجتماعيا أساسيا المنظرون المعاصرون، تر: محمود محمد

حلمي، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط 1، 2009، ص 365

التحق رايت ميلز بكلية تكساس الزراعية والميكانيكية ما بين سنة 1934م و1935م بعد اتمامه للمدرسة الثانوية؛ وبعد أربع سنوات التحق بجامعة تكساس بأوسين حيث تحصل فيها على درجتي البكالوريوس والماجستير في علم الاجتماع معاً سنة 1939م؛ ثم ترشح في برنامج الدكتوراه في علم الاجتماع بجامعة ويسكونسن في ماديسون، وتم قبوله بأطروحة والتي حملت عنوان: رصد سوسولوجي للبراغماتية دراسة حول علم الاجتماع المعرفة وحصل على هذه الدرجة في سبتمبر سنة 1942م.<sup>11</sup>

وقد عمل كأستاذ لعلم الاجتماع بجامعة كولومبيا فقد برز اهتمامه مع ظهور مجموعة من العلماء البارزين في زمنه ومنهم هانز جيرث Hans Gerth في فحصه للماركسية والتقليد الفيبري ومواقفهم من المشكلة الاقتصادية وبخاصة الحتمية الاقتصادية، وأيضاً مشكلات الطبقة التي أضاف إليها رايت يلز أحد المفاهيم أو المقولات الهامة في فهم الطبقة وتحليل علاقاتها الداخلية والخارجية بمفهوم المركز أو المكانة Status؛ وهي اهتمامات تدخل ضمن النطاق الأوسع الذي يعبر عنه موضوع التغير الاجتماعي وما يثيره من مشكلات وخاصة بما يتعلق بتكامل المجتمع.<sup>12</sup>

وتوفي في نيويورك سنة 1962م.<sup>13</sup>

## 2- مؤلفاته<sup>14</sup>:

— الشخصية والبناء الاجتماعي Character and social structure سنة 1953م. حيث هذا المؤلف اعتبر من بين أسس علم الاجتماع النظري المعاصر؛ وبرز فيه مفهوم الدور باعتباره مفهوم محوري يوحد بين النظرية الاجتماعية والنظرية السيكولوجية باعتبار أن

<sup>11</sup> نفس المرجع، 366

<sup>12</sup> محمود أبو زيد مرجع سابق، ص 149

<sup>13</sup> نفس المرجع، ص 150

<sup>14</sup> محمود أبو زيد، مرجع سابق، ص ص 149.150. وأنظر أيضاً: جون سكوت، مرجع

سابق، ص ص 367.373

البناء يتكون من العديد من الأدوار التي ترتبط بالأنساق وبالنظم المختلفة (تحليل الأدوار) وهذا مما سهل تحليل البناء؛ إذ توصل إلى استنتاج بأن كلما كانت الأدوار متسقة كان تكامل البناء أعمق وأوضح.

- الخيال الاجتماعي the Sociological Imagination سنة 1959م. في هذا المؤلف ناقش رايت ميلز بعمق فيما يخص بالنزعة الانسانية والتي اعتبرها أنها كامنة وراء علم الاجتماع، مما مثلها بأنها رؤية اجتماعية إلى العالم ودعى إلى ضرورة أن علم الاجتماع ذي نزعة انسانية أي أنه كان انتقادا للنزعة الإمبريقية والنظريات الكبرى معا.
- الياقات البيضاء White Collar سنة 1951م. ضمن في هذا الكتاب تحليل للطبقة الوسطى الأمريكية.
- صفوة القوة The Power Elite سنة 1956م. تناول فيه مجموعة من الصفوات ذات المصالح الثابتة المترابطة والتي تحكم أمريكا.
- أسباب الحرب العالمية الثالثة The Cause of World War 3 سنة 1958م.
- الماركسي The Marxit سنة 1962م. فقد وضع فيه عدم ارتياحه للاستخدام الإيديولوجي الذي يتمسك به الدارسون في ضوء انتقادات فيبر معبرا عن وجهة نظريه الأخلاقية التي اتمثل في توظيف المعرفة لخلق المجتمع الطيب السليم.
- اللغة والمنطق والثقافة سنة 1939م. استكمل ميلز فيه البناء فوق نظرية ميد عن الذات وفوق أفكار كارل مانهايم لعلم الاجتماع المعرفة لتطویر فهم أكثر نضالية وتوجيها للاتصال الاجتماعي مع اضافات لأفكار ميد.
- The New Men Of Power America's Labor Leaders سنة 1948م. والذي درس فيه النقابات والقيادات النقابية في الولايات المتحدة قبل الحرب الباردة.
- Listen Yankee : The cuban Case against the United States سنة 1960م.
- Power, politics and people سنة 1963.

3- الخيال السوسولوجي عند رايت ميلز: يعتبر ميلز الخيال السوسولوجي أحد الأدوات والطرق النظرية والتحليلية التي تشكل موقف نظري منهجي يحدد اتجاه الايديولوجي للباحث ودرجة إلتزامه بالأهداف المرجوة من عالم الاجتماع. وهي طريقة نقدية سوسولوجية واجتماعية؛ حيث يتمثل هذا النقد في أساليب السيطرة والتحكم التي تمس كل عنصر من عناصر البناء الاجتماعي.<sup>15</sup>

وتقوم طريقة الخيال السوسولوجي حسب رأيه على الربط بين مستويين من مستويات التحليل وهما: مستوى المجتمع أو البناء الاجتماعي ومستوى الفرد؛ وذلك اعتماده على مبدأ أساسي مفاده أن حياة الفرد أو تاريخ المجتمع لا يمكن فهم أي منهما دون فهم الآخر والعلاقة التي تربط بينهما، فإذا كان الباحث لا يملك قدرة فهم العلاقة بين الفرد والمجتمع؛ أو بين تاريخ الفرد وتاريخ مجتمعه؛ أو بين الذات والعالم الخارجي عليه أن يكون مجموعة من المهارات العقلية التي تمكنه من تشكيل فكرة التي تعكس ما يجري حوله وما سوف يحدث له تأثراً بهذا العالم؛ وهذه المهارة العقلية أعطى لها تسمية الخيال السوسولوجي، واعتبرها قدرة لا تقتصر على الباحثين في علم الاجتماع فقط بل تشمل مختلف الباحثين في العلوم الاجتماعية والإنسانية وحتى عامة الناس.<sup>16</sup>

وهذه الطريقة تمكن للباحث من توسيع فهمه حول الحياة الداخلية والعمل الخارجي للأفراد، وتسمح له أن يفسر كيفية انشاء وعيا مزيفا للأفراد بأوضاعهم الاجتماعية في ظل حياتهم اليومية التي تتسم بالإضطراب.<sup>17</sup>

---

<sup>15</sup> أحمد زايد، علم الاجتماع النظريات الكلاسيكية والنقدية، دار الكتب المصرية، مصر،

1984، ص 252

<sup>16</sup> نفس المرجع، ص 252

<sup>17</sup> نفس المرجع، ص 252

ومن جهة أخرى يستطيع من خلال هذه الطريقة أن يكشف مظاهر القلق الشخصي والذي يرجع إلى مجموعة من الاضطرابات والهموم الفردية (personal trouble)؛ وأن يربط بين اللامبالاة التي تعيشها الجماهير وبين المشاكل العامة.<sup>18</sup> إذن نتوصل أن طريقة الخيال السوسولوجي تقوم على مستويين أساسيين لهذا التحليل وهما:

1- المستوى الأول يتمثل في مستوى الفرد: فالفرد يعاني من مجموعة من الاضطرابات التي تفرضها عليه حياته في مجتمع مستغل.

2- المستوى الثاني يتمثل في مستوى المجتمع أو البناء الاجتماعي: فهذا البناء أو المجتمع تسوده مشاكل عامة Public issues، لذلك على الباحث أن تكون له القدرة أن يكتشف علاقة بين مظاهر الاضطراب الشخصي وبين مشاكل البناء الاجتماعي أو المجتمع؛ وهذا هو الهدف الرئيسي لطريقة الخيال السوسولوجي؛ وبعبارة أخرى تكسب هذه الطريقة للباحث وعيا حقيقيا بمشكلات مجتمعه تجعل منه أن يكون قادرا على الربط بين المشكلات الخاصة بمشكلات المجتمع ككل.<sup>19</sup>

4- المشكلات الخاصة والمشكلات العامة عند رايت ميلز: تتمثل المشكلة الخاصة عند رايت عند شعور الفرد بأن مجموعة من قيم التي بينها مهددة بالاندثار والأفول فإنه سيشعر بالاضطراب، أما المشكلات العامة تتمثل عنده عندما تشعر الجماهير ككل بأن قيمها مهددة فهنا تصبح مشكلة عامة بحيث قد تتضمن أزمة في المستوى النظامي، أو تتضمن ما أطلق عليه الماركسيون التناقضات أو مظاهر العداوة. إذ يذهب رايت ميلز إلى اعتبار أن أهم المشكلات الخاصة لهذا العصر هي مشكلات القلق uneasiness واللامبالاة indifference؛ أما المشكلات العامة ترتبط بالقوى غير الحقيقية التي تتحكم في هذا

<sup>18</sup> أحمد زايد، مرجع سابق، ص ص 252 . 253

<sup>19</sup> نفس المرجع، ص 253

المجتمع وما يصاحب هذه القوى من طرق انتاج تذكى الاغتراب وما يلازمها من أساليب للسيطرة السياسية والفوضى النظامية.<sup>20</sup>

5- أهم النقاط المتعلقة بحرفية البحث السوسولوجي وأسلوب الخيال السوسولوجي في علم الاجتماع عند رايت ميلز<sup>21</sup>:

1- نظرتة لعلم الاجتماع على أنها رؤية برغماتية أي أن الأفكار والنظريات ليس لها قيمة في ذاتها لأن ما يحدد قيمتها حسب رأيه مردوديتها في الواقع.

2- دعوته إلى ضرورة أن اعتبار المشكلات تناول بالنضرة الشاملة في الدراسة السوسولوجية بحيث يركز الباحث في هاته الدراسة على المستويات الثلاث وهي الإنسان والمجتمع والتاريخ.

3- أزمة علم الاجتماع الغربي في رأيه جاءت نتيجة للتصورات الخاطئة للعلم نفسه، وبذلك اعتبار المفهوم السوسولوجي لا بد أن يحقق مصداقية إمبريقية.

4- عيبه على معظم الباحثين المتبنين الفكر الماركسي لذلك أكد على التفريق بين الفهم والمعرفة للرفض والمقاومة؛ وبين الرفض والمقاومة دون فهم ووعي.

5- في محاولته الربط بين نقد مجتمع أمريكي ونقد علم الاجتماع فيه، وهي نقطة كثيرا ما تغيب عن من يصنفون أنفسهم ضمن حركة النقد في علم الاجتماع. وضح ميلز قضية اغتراب الانسان الأمريكي وتزييف وعيه، وبالتالي طبعه باللامبالاة والقصور فيما يتعلق بالتغيير، وحاول ربط هذا الواقع بجانب عوامل أخرى بالطبع بالإيحاء للإنسان بأن مشكلته ليست مشكلة اجتماعية بنائية وإنما نفسية شخصية.

---

<sup>20</sup> نفس المرجع، ص 253

<sup>21</sup> عبد الباسط عبد المعطي، اتجاهات نظرية في علم الاجتماع، المجلس الوطني للثقافة

والفنون والآداب (عالم المعرفة)، الكويت، د ط، 1981، ص ص 152 . 153

6- دعى إلى ضرورة أن الباحث في علم الاجتماع أن يكتسب بما سماه الخيال السوسولوجي وذلك بغية إدراكه أبعاد مشكلات المجتمع من جهة وأن يمنحه جملة من الادراكات حول الفرد بأنه جزء من البناء الاجتماعي؛ وأن البناء الاجتماعي جزء ومرحلة من مراحل التاريخ إلى أن يكتشف سياق المشكلات وهذا السياق يكون بنائي وليس فردي أو شخصي ذاتي.

وهناك نقطة مهمة يجدر بنا الأخذ بها بعين الاعتبار إذ يعبر هذا بقوله: "يمكّن الخيال السوسولوجي مالكة من فهم المشهد التاريخي الأكبر بالاستناد إلى معناه فيما يتعلق بالحياة الداخلية والسيرة الخارجية لمجموعة متنوعة من الأفراد. إنه يمكنه أن يأخذ بالحسبان كيف أن الأفراد، في تقلب خبرتهم اليومية واضطرابها، غالبا ما يصبحون واعين بشكل زائف لمواقعهم الاجتماعية...وهذا المعنى فإن المتاعب الشخصية للأفراد تركز على مشكلات واضحة. واللامبالاة التي يبديها الجماهير تحول انهماك في القضايا العامة."<sup>22</sup>

ومنه الخيال السوسولوجي يتيح لنا إدراك "أن الكثير من الأحداث والظواهر والسلوكيات الاجتماعية إنما تعكس قضايا أوسع، أهم، أعقد بكثير."<sup>23</sup>

ثانيا/الخيال السوسولوجي عند أنتوني غيدنز:

1- مفهوم الخيال السوسولوجي عند أنتوني غيدنز: يعرف أنتوني غيدنز الخيال السوسولوجي بأنه: "بعض أشكال الحساسية المرتبطة ببعضها البعض، والتي لا غنى عنها للتحليل السوسولوجي كما أفهمه هنا. فلا يمكن التوصل إلى فهم للعالم الاجتماعي الذي أشعلت شرارته المجتمعات الصناعية المعاصرة (أي المجتمعات المعاصرة بالصورة التي تبلورت بها في الغرب لأول مرة) إلا من خلال ممارسة الخيال على ثلاثة أصعدة في نفس

---

<sup>22</sup> رث والاس، وألسون وولف، النظرية المعاصرة في علم الاجتماع، تر: محمد عبد الكريم

الهوراني، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2010، ص 187

<sup>23</sup> عصمت تحسين عبد الكريم، علم الاجتماع المعاصر، الجنادرية للنشر والتوزيع، الأردن،

ط 1، 2015، ص 19

الوقت. وتتضمن أشكال الخيال السوسولوجي الحساسية التاريخية، والأنثروبولوجية، والنقدية.<sup>24</sup>

وقد اعتبر أنتوني مهمة الخيال السوسولوجي الذي يمارسه الباحث في تحليله للمجتمعات الصناعية المعاصرة تتوقف على "استعادة ماضيها القريب، العالم الذي فقدناه. فيفضل هذا الجهد وحده المنطلق من الخيال، والذي يقوم بطبيعة الحال على وعي بالتاريخ، نستطيع أن نفهم كيف تختلف معيشة أبناء المجتمعات الصناعية اليوم عن الأسلوب الذي كان يحيا به الناس في الماضي القريب نسبيا. وهنا يمكن أن تساعدنا كثيرا الحقائق البسيطة المجردة، كتلك الأرقام والتواريخ التي أوردناها من قبل بصدد حديثنا عن النمو الحضري. ولكن الشيء المطلوب فعلا هو محاولة الاستعادة التصورية (الخيالية) لنسيج أشكال الحياة الاجتماعية التي اندثرت اليوم إلى حد بعيد."<sup>25</sup>

اذ يجمع غيدنز بين عالم الاجتماع والمؤرخ فيما يخص دورهما وهو بذلك يعطي مثلا حول أوضاع مجتمع بريطانيا في القرن 18 بحيث يعتبره أول مجتمع شهد أثار الثورة الصناعية بالرغم من أنه كان خاضعا لعادات المجتمع المحلي وتماسك وحداته نتيجة تأثره المكثف بالدين؛ وهناك صور الاستمرار التي تتمثل في ترابط المجتمع بالمجتمع البريطاني في القرن 20.<sup>26</sup>

## 2- أبعاد الخيال السوسولوجي

يتمثل البعد الأول للخيال السوسولوجي على أن يقوم الباحث في علم الاجتماع على تطوير الحساسية التاريخية (أي احساسه بالبعد التاريخي).<sup>27</sup>

---

<sup>24</sup> أنتوني جيدنز، مقدمة نقدية في علم الاجتماع، تر: أحمد زايد وآخرون، مطبوعات مركز

البحوث والدراسات الاجتماعية، القاهرة، ط 2، 2006، ص 33

<sup>25</sup> نفس المرجع، ص 34 . 35

<sup>26</sup> نفس المرجع، ص 35.

<sup>27</sup> أنتوني جيدنز، مرجع سابق، ص 39

أما البعد الثاني يتمثل في أن وعي الباحث يصعب بالنظرة الأنثروبولوجية فهذا يؤكد على الطبيعة الواهنة للحدود المعترف بها تقليديا في العلوم الاجتماعية.<sup>28</sup> فالبعد الأنثروبولوجي للخيال السوسولوجي حسب غيدنز هو مهم باعتباره أن يمكن الباحث في فهم تنوع أنماط الوجود الانساني المعروفة على هذه الأرض.<sup>29</sup> وقد ارتكز على أن الباحث في مجال الأنثروبولوجيا المعاصرة نجده مؤرخ للكوارث البشرية أو مؤرخ للثقافات التي تم اتلافها بطريقة التدمير العسكري او الاستعماري، أو الانتشار فيها الأمراض التي جاءت احتكاكا بالغرب؛ أو تلك التي عانت من التفكك في عاداتها الاجتماعية الكلاسيكية.<sup>30</sup>

وهكذا فاذا جمع بين البعد الأول والبعد الثاني للخيال السوسولوجي فقد نتحرر من القيود الصارمة التي تضعنا في تفكير محدود نحو نوع المجتمع الذي نعيشه الآن فقط.<sup>31</sup>

أما البعد الثالث على الباحث أن تكون له رؤية نقدية بحيث هنا على الخيال السوسولوجي أن يتصدى ويبدد كما أطلق عليه غيدنز تركز حول السلالة أو المركزية السلالية وهو مفهوم "الذي يتبنى وجهة نظر المجتمع أو الثقافة التي ينتمي إليها الباحث ويتخذها معيارا للحكم على باقي المجتمعات والثقافات".<sup>32</sup> ويقصد بها كذلك بأنها: "عملية فهم أفكار أو ممارسات أبناء ثقافة أخرى في ضوء أفكار وممارسة الثقافة الخاصة التي ينتمي إليها الشخص. ومن هنا تخفق الأحكام المتمركزة سلاليا في فهم وتقدير مميزات الثقافات الأخرى. أما الشخص المتمركز سلاليا فهو ذلك الفرد الذي يعجز، أو لا يرغب،

---

<sup>28</sup> نفس المرجع، ص 39

<sup>29</sup> نفس المرجع، ص 40

<sup>30</sup> نفس المرجع، ص 42

<sup>31</sup> نفس المرجع، ص 43

<sup>32</sup> نفس المرجع، ص 40

في فهم الثقافات الأخرى في ضوء معاييرها وعلى أسسها هي.<sup>33</sup> فهذا البعد يأتي نتيجة بعد مرور الباحث على البعد الأول والبعد الثاني للخيال السوسولوجي. ويعتبر غيدنر أن هذا البعد يتصل بأفاق المستقبل؛ وهو بذلك قد نقد فكرة أو مفهوم المماثلة العضوية أو أن علم الاجتماع يماثل الطبيعة، وعلى حتمية أو اخضاع المجتمع للقوانين دائمة ولا تتغير إذ يذهب إلى اعتبار أن الباحث يكون بدراية ووعي نحو المستقبلات البديلة المتاحة له، إذن الخيال السوسولوجي بهذه الطريقة ينصهر كلية مع مهمة علم الاجتماع من حيث الاسهام الذي يقدمه من خلال نقده للأشكال الاجتماعية القائمة وأن هذا النقد يشترط عملية التحليل.<sup>34</sup>

ثالثا/تنمية الخيال السوسولوجي<sup>35</sup>:

نوضح فيما يلي كيفية تنمية الخيال السوسولوجي بطرق عديدة مختلفة منها توضيح النظرية في الواقع، والبحث الإجرائي، والحديث وتبسيط الضوء على السياسة الاجتماعية في شتى أرجاء العالم. وذلك استدلال على ما تم استقرائه الباحث مصطفى خلف عبد الجواد في أحد مؤلفاته وهي على النحو الآتي:

1-النظرية في الواقع: تساعد المنظورات الرئيسية الثلاثة (الوظيفية، والصراعية، والتفاعلية) في علم الاجتماع في فهم قضايا الساعة سواء أكانت ظاهرة العنف أو المخدرات وغيرها من الموضوعات التي يهتم بها علم الاجتماع، ولا يتحتم على الباحث السوسولوجي أن يصرح علانية بتبنيه نظرية معينة بحيث جل النظريات تسقط حول

---

<sup>33</sup> نفس المرجع، ص ص 252 . 253

<sup>34</sup> أنتوني جيدنز، مرجع سابق، ص 43

<sup>35</sup> مصطفى خلف عبد الجواد، قراءات معاصرة في نظرية علم الاجتماع، مركز البحوث

والدراسات الاجتماعية، القاهرة، 2002، ص ص 243 . 250

الموضوع أو الظاهرة المدروسة إلا أن الباحث يعتمد على هذه المنظورات من جهة أنها أطر مرجعية.

إذن فعلى الباحث السوسولوجي يكون أدري بهاته المنظورات الكبرى وتكون مهضومة ومبسوطة بشكل الذي يفهمه ويستنبط مفاهيمها المحورية وتحليلاتها لمختلف المواضيع؛ وذلك ليسهل عليه كيفية أن يقارب أو يسقط أو أن يختار نظرية معينة تناسب موضوعه وذلك سنبين هاته النظريات في جدول أدناه:

جدول يمثل الأطر النظرية الرئيسية والكبرى في علم الاجتماع

أوجه المقارنة	المنظور الوظيفي	منظور الصراع	منظور التفاعل
رؤيته للمجتمع	الاستقرار والتكامل	يتميز بالتوتر والصراع	إيجابي في تأثيره على التفاعل الاجتماعي اليومي
مستوى التحليل	الوحدات الكبرى ماكروسوسولوجي	الوحدات الكبرى ماكروسوسولوجي	الوحدات الصغرى ميكروسوسولوجي
رؤيته للفرد	يتم نشئة الناس لانجاز الوظائف المجتمعية	يتشكل الناس بواسطة القوة والقسر والسلطة	يستخدم الناس الرموز ويخلقون عالمهم الاجتماعي من خلال التفاعل
رؤيته للنظام الاجتماعي	التعاون والاجماع وسيلة للحفاظ عليه	القوة والقسر وسيلة للحفاظ عليه	الفهم المشترك اليومي وسيلة للحفاظ عليه
رؤيته للتغيير الاجتماعي	ينبغي تعزيزه وتأكيد	حتمية ودائمة التغيير، قد ينجر عنه تأثيرات إيجابية	ينعكس التغيير في الأوضاع الاجتماعية للناس واتصالاتهم مع الآخرين
روادها	-إميل دوركايم -تالكوت بارسونز -روبرت ميرتون	-كارل ماركس -دوبوا -رايت ميلز	-جورج هربت ميد -شارلز هورتون كولي -ارفينج فوغمان

2- البحث الميداني: على الباحث في علم الاجتماع أن يدرس الظاهرة الاجتماعية أو السلوك الاجتماعي بأنها ظاهرة شمولية ترتبط بجملة من المتغيرات والظواهر.

3- السياسة الاجتماعية في شتى أرجاء العالم

من بين أهم الأساليب البحثية المهمة باستخدام الخيال السوسولوجي هي تعزيز فهمنا للقضايا الاجتماعية الراهنة في العالم مثل الدعم الحكومي لمراكز رعاية الطفل، والتحرش الجنسي... إلخ. وهذه المجالات للسياسة الاجتماعية توضح لنا كيف أن المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع يمكن أن تدعم مهارات التفكير النقدي عندنا، وتساعد في أن نفهم على نحو أفضل الجدل الدائر في أنحاء العالم حول السياسة العامة الحالية. يضاف إلى ذلك أن علم الاجتماع يستخدم في تقييم نجاح البرامج أو تأثير التغيرات التي تحدث نتيجة السياسة العامة والعمل السياسي. وهذا يؤكد التطبيقات العملية العديدة للنظرية والبحث في علم الاجتماع.

**العناصر الأساسية للخيال السوسولوجي:**

أسلوب الخيال السوسولوجي يشترط توفره على عنصرين أساسيين وهما<sup>36</sup>:

- الوعي بالعلاقة بين الفرد والمجتمع الأكبر.
- قدرة عالم الاجتماع على النظر إلى مجتمعه نظرة الدخيل عليه أو الغريب عنه، وليس من منظور خبراته الشخصية المحدودة ونزعاته الثقافية.

---

<sup>36</sup> مصطفى خلف عبد الجواد، مرجع سابق، ص ص 250 . 251

## خاتمة

وخلاصة القول يمكننا أن نستخلص أن أسلوب الخيال السوسولوجي هي الطريقة المثلى وأكثر دقة لاتخاذها أسلوباً في بناء الإشكالية وذلك مما تحققه للباحث القدرة على تجاوز ذلك اللبس والغموض الذي يغطي الظاهرة أو الموضوع المدروس وأكثر حرية أو كما يعرف عند رايت ميلز بمفهوم الوعي الزائف وعند أنتوني غيدنز بالمركزية السلالية، بحيث تجعل الباحث أن يفسر علاقات ومفاهيم معينة ترجع أصلها إلى تلك العلاقة بين الفرد والمجتمع. فتمثل هذه الطريقة بأنها مهارة عقلية وحرفة وذكاء سوسولوجي في نفس الوقت؛ على الباحث أن يكتسبها ويتعلمها لأنها تمكن له أن يكتشف أفكار جديدة وحتى أن يصوغ نظرية جديدة.

## قائمة المراجع والمصادر

1. أحمد زايد، علم الاجتماع النظريات الكلاسيكية والنقدية، دار الكتب المصرية، مصر، 1984.
2. أنتوني جيدنز، مقدمة نقدية في علم الاجتماع، تر: أحمد زايد وآخرون، مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، القاهرة، ط 2، 2006.
3. أنول باتشيرجي، بحوث العلوم الاجتماعية "المبادئ والمناهج والممارسات"، تر: خالد بن ناصر آل حيان، دار اليازوري للنشر والتوزيع، عمان، ط 2، 2015.
4. جون سكوت، خمسون عاماً اجتماعياً أساسياً المنظرّون المعاصرون، تر: محمود محمد حلبي، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط 1، 2009.
5. ديرك لايدر، قضايا التنظير في البحث الاجتماعي، تر: عدلي السمري، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، د ط، 2000.
6. رث والاس، وألسون وولف، النظرية المعاصرة في علم الاجتماع، تر: محمد عبد الكريم الحوراني، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، ط 1، 2010.
7. سيرج بوغام، ممارسة علم الاجتماع، تر: منير السعيداني، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط 1، 2012.

8. عبد الباسط عبد المعطي، اتجاهات نظرية في علم الاجتماع، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب (عالم المعرفة)، الكويت، د ط، 1981.
9. عبد الغني عماد، البحث الاجتماعي "منهجيته مراحلته تقنياته"، منشورات جزوس برس، لبنان، ط 1، 2002.
10. عصمت تحسين عبد الكريم، علم الاجتماع المعاصر، الجنادرية للنشر والتوزيع، الأردن، ط 1، 2015.
11. علي عبد الرزاق جلبي، المناهج الكمية والكيفية في علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، د ط، د س.
12. غريب عبد السميع غريب، علم الاجتماع مفهومات-موضوعات-دراسات، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، د ط، 2009.
13. محمد عبيدات، محمد أبو نصار، وعقلة مبيضين، منهجية البحث العلمي "القواعد والمراحل والتطبيقات"، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، ط 2، 1999.
14. محمود أبو زيد، أعلام الفكر الاجتماعي والأنثروبولوجي الغربي المعاصر، الجزء الثاني (2)، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 2007.
15. مصطفى خلف عبد الجواد، قراءات معاصرة في نظرية علم الاجتماع، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، القاهرة، 2002.